أ/د. نورالدين أمعيط
جامعة شعيب الدكالي - كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجديدة
nour7404@gmail.com

Recieved : 28/12/2023
Revised : 4/1/2024
Accepted : 21/1/2024
Published :25/1/2024

مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب الأقصى زمن العصر المريني الأول (668-759هـ/1269-1358م)

من خلال المصادر العربية

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جملة منتخبة من مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب الأقصى زمن العصر المريني الأول(668-759هـ/1269-1358م)، الواردة في المصادر العربية، وقد صنفناها بحسب وظائفها إلى مجموعتين، تناولنا في المجموعة الأولى مصطلحات تخص آلات الحصار و لباس الجند والشارات العسكرية، فيما تناولنا في المجموعة الثانية مصطلحات تخص مكونات الأسطول الحربي للدولة المرينية، مع توضيح دلالة كل مصطلح من هذه المصطلحات، و ذلك بالاستناد إلى جملة من القرائن والإثباتات التي تحيل عليها وترشد في فهمها، كتحديد وظائف وأنواع هذه الأسلحة واهتمام أهل المغرب بصناعتها والأدوار التي لعبتها لبناء الدولة المغربية الوسيطية.

الكلمات المفتاحية: العتاد الحربي-المصطلحات- الأسلحة-المغرب الأقصى-العصر المريني-المصادر العربية

Abstract

This study seeks to shed light on a selection of terminology for military equipment mentioned in Al-aqsa Morocco at the time of First Marinid Era (668-759AH/1269-1358AD), contained in Arabic sources. We classified them according to their functions into two groups.In first group, we dealt with terms related to siege machines, soldiers uniforms, and military insignia, while in the second group we dealt with terms related to the components of the military fleet.The Marined state , with an explanation of the meaning of each of these terms, based on a number of clues and proofs that refer to it and guide its understanding, such as defining the functions and types of these weapons, the interest of the people of Morocco and Andalusia in their manufacture, and they played in building the Moroccan-Mediterranean state.

Keywords: Military equipment-terminology- Weapons-Marinid Morocco-Arab sources.

مقدمة

بالرغم من أهمية العتاد الحربي وما لعبه من دور حاسم في بسط السيطرة والنفوذ الحضاري في الحوض المتوسطي خلال العصر الوسيط، فإن هذا الموضوع، لم ينل حظه اللازم من الدراسة والتنقيب في حقل الدراسات التاريخية[1]، لا سيما ما يتصل بأنواع الأسلحة المستعملة والمصطلحات المرتبطة بها، ودور ذلك في فهم بعض الجوانب المعتمة من التاريخ العسكري للغرب الإسلامي عموما، ولبلاد المغرب الأقصى على وجه التحديد، ومن ثمة الوقوف على بعض عوامل اختلال موازين القوى بين ضفتي البحر المتوسط، بل وفهم كنه التحولات العسكرية التي حصلت بالمنطقة خلال هذه المرحلة، خاصة بعد تراجع قوة الموحدين إثر هزيمتهم في معركة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ/1212م.

ويبدو أن الدولة المرينية التي سعت لاسترجاع أمجاد الموحدين، قد تنبهت إلى مظاهر هذا الاختلال على المستوى العسكري، فأخذت على عاتقها، مهمة إعادة تحديث وهيكلة الجيش المغربي وتطويره، ليس بقصد ردع الهجمات المسيحية فحسب، ولكن لتأمين الطرق التجارية وتوحيد الصف، و تثبيت الأمن الداخلي، فسخرت لذلك عتادا حربيا متنوعا سواء داخل المغرب الأقصى، أو في حروبها بالأندلس وإفريقية، وتجمعت لديها ترسانة مهمة من الأسلحة، شكلت مظهرا من مظاهر قوة الدولة المغربية داخل حوض البحر المتوسط، لا سيما زمن السلطانين أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) وابنه أبي عنان (749-759 هـ/1348-1358م).

وبقدر ما تنوع العتاد الحربي واختلف بحسب المواجهات والمعارك التي خاضتها الدولة المرينية في حروبها، بقدر ما تنوعت معه المصطلحات الدالة عليه في المصادر العربية الوسيطية التي استعملت مجموعة مهمة من مصطلحات الأسلحة ومستلزمات الجند، فورد منها ما يدل على الأسلحة بأنواعها، وزي المقاتلين، وشارات الجند، فضلا عن مصطلحات دالة عن مكونات الأسطول الحربي، مما يستلزم تعريفها و الوقوف عند دلالتها، باعتبارها جزءا من التراث المغربي المدون الواجب تثمينه والمحافظة عليه.

وسننطلق في هذه الدراسة، من جملة من المصادر العربية التي دونت زمن الدولة المرينية أو بعدها، وهي مصادر استعملت مصطلحات خاصة لأنواع الأسلحة المستعملة لدى بني مرين،

ومنها الذخيرة السنية لابن أبي زرع الفاسي(ت. 726هـ/1326م) وكتاب مسالك الأبصار للعمري(ت. 749هـ/1349م)، وكتاب فيض العباب لابن الحاج النميري (ت. بعد سنة 774هـ/1334م)، و كتاب المسند الصحيح الحسن لابن مروزق التلمساني (ت.781هـ/1381م)، وكتاب العبر لابن خلدون (ت. 808هـ/1408م) فضلا عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ت. 821هـ/1418م) ووصف إفريقيا للحسن الوزان (ت. حوالي957 هـ/1550م) ، وغيرها من المصنفات التي قدمت مادة جيدة عن الجوانب العسكرية والعتاد الحربي في العصر المريني.

وانطلاقا مما تجمع من معطيات وإشارات مصدرية، فقد سعت هذه الدراسة إلى تصنيف مصطلحات الأسلحة بحسب وظائفها، مع توضيح دلالتها لرفع الالتباس وتقريب الفهم لعموم الباحثين الذين غالبا ما يصطدمون بمشاكل لا حصر لها كلما تعلق الأمر بتحديد دلالات الألفاظ والمصطلحات المستعملة للتعبير عن أنواع العتاد والأسلحة المعتمدة خلال العصر الوسيط، وقد استندنا في تحديد دلالة هذه المصطلحات إلى جملة من القرائن والإثباتات المصدرية التي تعين على التعريف بها وتحديد دلالتها، وفق منهج تاريخي، يروم الوصف والتفسير والتحليل، في انسجام تام مع الرؤية الخلدونية التي تلخص أسباب النصر والغلبة في قوة التنظيم ووفرة الجند وكمال الأسلحة.

أولا: مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب المريني

لا شك أن العتاد الحربي وتوفر الأسلحة، ظل - ولا يزال- من العوامل الرئيسية التي تساعد الجند على اقتحام المعارك دون خوف أو وجل، بل يكون أحيانا عاملا حاسما في صنع الانتصار وحسم نتائج المعارك والحروب[2] والتمهيد أحيانا لبناء دولة على أنقاض أخرى. وفيما جعلت بعض المصنفات خير الأسلحة "ما خف حمله على الأعضاء ودفع عنها الأذى"[3]، جعل منها ابن خلدون أحد أسباب النصر والغلبة، ملخصا ذلك في أربعة عناصر وهي "الجيوش ووفورها، وكمال الأسلحة واستجادتها، وكثرة الشجعان، وترتيب المصاف"[4]، فجعل للسلاح المرتبة الثانية بعد وفرة الجيش،

ومن ثمة اكتسى العتاد الحربي أهمية قصوى لصاحب الدولة وجنده، يستعين به على أمره، وتكون الحاجة ماسة إليه "عندما تكون الدولة في بداية عهدها وتمهيد أمرها"، على حد قول صاحب المقدمة[5].

والواقع أن الأسلحة التي استعملها الجيش المريني في حملاته العسكرية، ومنها حملته على قسنطينة وبلاد الزاب، قد عرفت تنوعا كبيرا، كما عكست ضخامة الجند المشارك، وتبعا لذلك، جاءت مصطلحات الأسلحة المستعملة متنوعة ضمن المصادر العربية المذكورة، وقد شملت مصطلحات أسلحة الرماية الخفيفة والطعن، ومصطلحات آلات الحصار وهدم الأسوار، و أخرى تهم زي الجند ومستلزمات الفارس، فضلا عن مصطلحات تدل على مكونات الأسطول الحربي ولوازم الجند البحري.

1- مصطلحات أسلحة الطعن والرماية الخفيفة (السيوف - القسي - النبال -الرماح)

لعل من أهم مصطلحات أسلحة الطعن التي تردد ذكرها في المصادر العربية، هناك **السيف**، جمع سيوف، وقد كان على رأس الأسلحة المعتمدة لدى الجند خلال العصر الوسيط، وبالنظر إلى أهمية السيوف جعلها ابن خلدون[6] على رأس الآلات التي يستعين بها صاحب الدولة على أمره، إلى جانب القلم. وإن كان يقصد **بالسيف** في مقدمته جميع أنواع الأسلحة، فهي إشارة لأهمية هذا النوع من السلاح و محوريته ضمن باقي أنواع العتاد الحربي المستعمل خلال الفترة الوسيطية.

ومن جهته، تحدث النميري عن السيوف كأحد أنواع الأسلحة الرئيسية لدى جيش بني مرين، فأمعن في التنويه بسيوف العساكر المرينية، وأورد أن كل **"سيف** منها يطلب الثأر(...)، محمود الجولة، موهوب الصولة، يعجز المتنبي عن وصفه "[7]. كما ذكر بعض أنواع السيوف ومنها **"الهندية"** أو **"الهنداوية"**[8] التي كان يتم التباهي بها، فضلا عن **"الإفرنجية"**[9] **و"البردالية"**[10]

وغيرها من الأنواع التي استعملها الجند المريني، سواء كانت محلية الصنع أو مستوردة من الأندلس وبلاد المشرق، وقد صنفت بحسب جودتها ومكان صناعتها وشكل مقابضها[11].

وفضلا عن السيوف، استعملت المصادر مصطلح **القسي، جمع قوس، وهي** آلة حربية على هيئة هلال، ترمى بها السهام، **و** كانت على نوعين، **قوس اليد** وهي العربية، ثم **قوس الرجل** وهي **الإفرنجية**، ويرى ابن هذيل أن **"القوس العربية** أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مئونة"[12]، في حين تظل **"الإفرنجية** أنسب للراجل لأنها أبلغ وأكثر معونة، ولاسيما في الحصار والمراكب البحرية(...)وهي خاصة بأهل الأندلس، فيها يتنافسون، وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا"[13].

وبالفعل، فقد ميزت القسي الإفرنجية فرقة الأندلسيين من الجيش العناني الذين كانوا يرمون بقوس الرجل[14] وبلغ عددهم أزيد من ألفي فارس[15]. وقد فصلت بعض المصادر في طريقة استعمالها وقت القتال، إذ يطالعنا صاحب البدائع والأسرار عن طريقة الرمي بها، فقال "إذا رميت الفارس، إن كان مقبلا إليك، فاطلب قربوس سرجه، فإن طاش السهم وقع في صدره، أو في وجهه، وإن قصر وقع في بطنه أو في دابته، وإن كان هاربا أمامك وأردت رميه فاطلب القربوس، فإن طاش السهم وقع في ظهره(...)"[16]. ويبدو أن الجند المريني كان بارعا في الرمي بالقسي، لا سيما العناصر المتمرسة منه والمنتمية لمدن الثغور، كأهل سبتة الذين "طبعوا عليه[الرمي بالقسي]، فلا تلفي منهم شريفا ولا مشروفا، ولا كبيرا ولا صغيرا، إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه، ومعظم رميهم بالقوس العقارة"[17].

ومن جهته أشار ابن الحاج النميري إلى مصطلح "النبال"، جمع نبلة، للدلالة على أحد أصناف أسلحة الرمي والطعن التي استعملها الجند العناني[18]، وقد وصفتها بعض المصادر "بالمنايا [التي قد]

تخطئ وتصيب"[19]. ومعلوم أن المرينيين قد أنشأوا على المدن الساحلية الأبراج أو المرامي لتكون قاعدة للرماة[20] فكانت سبتة وحدها تتوفر على "أربعة وأربعين مرمى بالميناء"[21] مقسمة على تسع جلسات.

ومن أسلحة الطعن الخفيفة أيضا، استعملت المصادر مصطلح **"الرماح"**، جمع رمح، وهو سلاح رئيسي استعمله الجند المريني، كان عبارة عن قضيب طويل في رأسه سنان أو حربة للطعن، وقد صنفها العمري إلى نوعين، "رماح **طوال وقصار"**[22]، و قد كانت عبارة عن عصا خشبية أو معدنية في نهايتها قطعة معدنية مدببة الشكل، وعادة ما تكون ذات رأس معدني مثلث، وهي رماح مصممة للقتال والطعن، وأخرى مصممة للرمي. وتذكر المصادر أن خير الرماح ما خف حمله، إذ "ينبغي للفارس أن يخفف رمحه ما قدر، فإنه على الخفيف أقوى"[23]، وأحسنها "المارن المثقف، المقوم المخطف، الذي إذا هززته لم يتعطف، وإذا طعنت به لم يتقصف"[24]. وقد شكلت الرماح إحدى وسائل القتال الأساسية لدى الجند المريني[25].

2- مصطلحات آلات الحصار (المنجنيقات- العرادات- الدبابات- الات الحصار)

امتازت الجيوش المرينية بالتفوق في فن الحصار، ومقدرتها على اقتحام المدن المنيعة الأسوار، و لاغرو فقد راكمت التجربتين المرابطية و الموحدية في هذا المجال، فكانت أمنع الأسوار تنهار تحت ضربات الآلات المدمرة، ومنها ما المنجنيقات التي اصطلح عليها ابن الحاج "الات الحصار "[26]أحيانا، و**"الدبابات"**[27]، أحيانا أخرى، وهي الات للقدف والحصار، برهنت عن فعاليتها، ورجحت تفوق الجيوش المرينية في حوادث كثيرة، لعل أبرزها حصار سجلماسة سنة 672هـ وحصار

قسنطينة سنة 758هـ، فلم تصمد التحصينات المنيعة والأسوار العالية تحت ضربات آلات الحصار المرينية المدمرة.

ويبدو أن مصطلح **"الدبابة"** بمفهومه العسكري، قد استعمل لأول مرة بالمغرب المريني مع ابن الحاج النميري، فقد سميت ضمن المصادر الموحدية بالآلات الحربية، وهو الأمر الذي أكده الأستاذ محمد المنوني حين أثبت ورود مصطلح **"آلالات الحربية" أو "الدبابات الموحدية"، ضمن المصادر، مضيفا أنها "بالإسم الأول وردت"**[28]. وهو ما قد يوحي بالتطور الذي طرأ على المستوى التقني في هذا النوع من العتاد الحربي المريني. فبعدما كان يصطلح عليها "الآلات الحربية" خلال العصر الموحدي[29]، يبدو أن تبدل تسميتها خلال العصر المريني، كان موازيا لتبدل حصل في تقنية اشتغالها، مع الاحتفاظ بوظيفتها، فصارت تسمى **بالدبابات** خلال عصر بني مرين.

وفضلا عن مصطلح **المنجنيقات**، تشير المصادر إلى استعمال مصطلح **"العرادات"**، مفرد **عرادة** وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد، وقيل هي من التعريد بمعنى العدو، واستخدمت لرمي قدور النفط، وإليها أشار ابن خلدون مستعملا ذات المصطلح، في معرض حديثه عن حصار يعقوب ابن عبد الحق المريني لمدينة سجلماسة سنة 672هـ، حين قال "ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق **والعرادات** وهندام النفط القاذف بحصى الحديد"[30]. وذلك بعد أن دام الحصار حولا كاملا "إلى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف"[31].

وقد سمى النميري هذا النوع من العتاد الحربي ب**"آلات الحصار الثقال"**[32] أحيانا، و**"بالآلات"**[33] دون إضافة أحيانا أخرى، فجعل منها أداة "لقهر شيع الضلال"[34]، كما سماها ب **"الدبابات** التي تيسر من فتح المدينة كل مرام"[35].

وإلى جانب وسائل الحصار المذكورة، استعمل الجيش المريني أسلحة أخرى من قبيل **الحجارة** التي كانت تقذف في المجانيق واستعملت في حصار أبي عنان لقسنطينة، فقد رمى أهلها **"بالحجارة**(...)وألقى عليهم أرواق الحصار"[36]، **والسلالم** التي كانت تمكن من تسلق أعلى الأسوار[37]. كما استعملت المعاول في هذا الحصار "فكادت أن تهطع لتخليل قوى الأسوار وتفريق ما اتصل من أعضائها البادية للأبصار"[38]. فضلا عن **الفؤوس والمساحي** التي وظفت في "تخريب الديار[حين أقدم أبو عنان](...)على قسنطينة ليتركها عبرة للمعتبرين"[39]. ويذكر النميري أن **معاول** الجيش العناني قد حطمت القصر الذي بناه أحد قادة قبائل رياح حين خرب "حتى لصقت أعاليه بالأرض"[40] .

وواضح أن المرينيين، لم يقتصروا على الأسلحة وآلات الحصار القديمة التي سادت على عهد المصامدة، بل طوروا ما وصلت إليه خبرة الموحدين[41]، واستعملوا آلات قاذفة بعد تعديلها، لا تقذف بالحجارة والكرات الحديدية الملتهبة، فحسب، بل تستعمل الأنفاط والبارود، وهنا مكمن الجدة في السلاح المريني. فهذه الآلات التي يصحبها ذوي قوي، كانت تشبه المدافع التقليدية، قد وصفها النميري بقوله "آلات الحصار(...) مجاهدات(...) صوتهن كالرعود"[42].

وإذا كانت مسألة استعمال المغاربة للبارود زمن الموحدين، أمر مشكوك في صحته لغياب نصوص صريحة تثبت ذلك، فإن استعمال هذا السلاح من قبل الدولة المرينية، أمر لا يرقى إليه الشك قيد أنملة، ولا تعوزنا النصوص الدالة على ذلك، فقد ذكر ابن خلدون عدة ألفاظ ومصطلحات دالة في هذا الشأن من قبيل **"البارود"** و**"هندام النفط"** و**"النار الموقدة"**، في سياق حديثه عن حصار يعقوب بن عبد الحق لسجلماسة سنة 672هـ، حين "نصب عليها آلات الحصار من المجانيق و العرادات **وهندام**

النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام **النار الموقدة** في **البارود** بطبيعة ترد الأفعال إلى قدرة باريها"[43].

ولعل في استعمال ابن خلدون لمثل هذه الألفاظ والمصطلحات، ما يؤكد حقيقة استعمال الجند المريني للسلاح الناري، وهو ما أشار إليه الناصري أيضا، معلقا على نص ابن خلدون بقوله أن الأمر فيه "فائدة وأن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ"[44].

وأثناء حصار أبي عنان لقسنطينة، يبدو مؤكدا أنه وظف سلاح البارود بأن "أرسل عليهم **أنفاطا** يتطاير شرارها(...)ويحل من أسوارهم محل **نيران**(...) ويخلع قلوبهم بأصوات لا يطيقها خروق المسامع"[45]. أما الأسطول، فقد أطلقت أجفانه "**أنفاطها**(...) منذرة السامعين مالئة **بألهوبها** مابين الغرب والشرق"[46]على حد قول صاحب فيض العباب.

وانطلاقا من المصطلحات والألفاظ الواردة لدى كل من ابن خلدون والنميري من قبيل" الأنفاط" و"النيران" و"الالهوب"، يتضح جليا توظيف المرينيين المتكرر للسلاح الناري في حروبهم. فكان البارود من الذخيرة التي حرصوا على حفظها داخل صناديق محكمة الإغلاق، لأهمية هذه المادة من جهة، وخطورتها من جهة ثانية، فأثناء العاصفة الرعدية وقدوم السيل الذي حل بالموكب العسكري العناني بجبل بني يمل أثناء العودة "أمر أبو عنان بأن تجمع أحمال الأموال والمتاع، والصناديق المشحونة بالذخائر"[47].

وإذا ثبتت صحة استعمال الغرب الأوربي للبارود لأول مرة في معركة (Crecy-en-Pouthien) بين الانجليز والفرنسيين سنة 747هـ/1346م، وهي الحرب التي مهدت لحروب المائة سنة بين المملكتين الفرنسية والانجليزية، فإن المغرب يكون بذلك، قد سبق أوربا إلى استعمال السلاح الناري بأكثر من سبعة عقود[48].

3- مصطلحات لباس الجند ومستلزمات الفارس والشارات العسكرية

3-1 – مصطلحات لباس الجند (الدروع- التراس- الدرق- الخوذ -العمائم- البيضات...)

تنوع زي الجند المريني تنوعا كان يضفي على الموكب العسكري تلك الفخامة و الضخامة المقصودة لترهيب الأعداء، فكان زي السلطان وجنده لا يخرج عن هذا المنحى، ويصف لنا العمري لباس الفرسان مستعملا جملة من المصطلحات الخاصة بزي هؤلاء الذين تميزوا ب"**عمائم** طوال رقاق، قليلة العرض من كتان، ويعمل فوقها **إحرامات**، يلفونها على أكتافهم من الجباب، ويتقلدون بالسيوف تقليدا بدويا، **والأخفاف** في أرجلهم(...) **والمهاميز**[49]، ولهم **المضمات** وهي **المناطق**، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز(...) وتعمل من فضة ومنهم من يعملها ذهبا، ومنها ما يبلغ ألفي مثقال"[50].

وإذا كان العمري قد وصف بعض مكونات زي الفرسان من الجيش المريني، مستعملا لذلك جملة من المصطلحات **كالإحرامات** التي يلفها الفارس على الأكتاف، **والأخفاف والمهاميز والمضمات** أو **المناطق**، فإن ابن مرزوق قد أجاد في وصف زي السلطان المريني زمن النزال معتمدا مجموعة من المصطلحات الخاصة بلباس الملوك وقت الحروب، فيذكر أن أبا الحسن، كان "يختص بلبس **البرنس** الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه"[51]. وكان "يلبس **خاتم الذهب** على عادة الملوك، وبدله بخاتم **فضة**، (...)وفي يده **السكين** التي لا يفارقها"[52]. ويضيف الحسن الوزان عن لباس السلطان في الحروب، فيذكر أن خادما يتقدم السلطان، ليحمل **قباقبه**، وهي "**أحذية من خشب** مزدانة بتطريزات متناهية الجمال تعد من مظاهر الأبهة والفخامة"[53]. وقد يلبس "الملك في هذه المناسبة لباسا متواضعا لائقا، فالذي لا يعرف الملك، لا يصدق أنه هو نفسه، لأن خدامه المسلحين يلبسون لباسا أفخر من لباسه، مصنوعا من أقمشة ثمينة مزخرفة"[54].

وأثناء الحركة إلى قسنطينة، وصف ابن الحاج النميري لباس أبي عنان بمصطلحات خاصة، فقد خرج هذا السلطان "وقد لبس **ملوطة**[55] **بيضاء** بالعمل الشواشي(...) ولبس فوقها **مصفحا ملوكيا** عظم قدرا(...)واتخذ **المضمة** الشريفة نهرا، وتقلد **السيف**(...) وجعل على رأسه **بيضة هندية** سامية مصقولة"[56]. "ولبس[أبو عنان]على **المصفح، غفارة حمراء**(...)ثم قرعت الطبول، ولاحت البوقات والأنفار في موكب النصر"[57].

أما قواد الجيش، فقد كان لهم لباس خاص "فلسائر القواد زي تميزوا به في العساكر(...) وعلى جميع هؤلاء الأصناف أنواع **الأقبية** التي حسن لها التمييز، (...) وفوقها **المصفحات** من الحلل والأنزاق والأثواب البديعة المجلوبة من أرض الشام وأرض العراق، منسوقة بها المسامير المذهبة(...)أما **القلانس والشواشي** المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس(...)واختص خيول الأجناد الأندلسيين **بالبراقع** البديعة الجمال(...)أما جموع الأندلسيين المغاوريين المرتجلة، فقد لبسوا **الأقبية** المختلفة الألوان وجعلوا فوق رؤوسهم **الرتافيل** التي هي أبدع من نور البستان(...) والعدويون اللابسون لأحسن الأثواب(...)وبأيديهم القضبان"[58].

ويبدو واضحا من خلال مصطلحات زي الجند الواردة ضمن هذا النص، التنوع الكبير الذي طبع لباس الجند المريني، وهو لباس منه ما كان محلي الصنعة، ومنه المستورد من بلاد الشام والعراق والهند، مما يتضح معه حرص المرينيين واهتمامهم البالغ بتوفير عتاد الجند، مهما بلغت تكاليف الاستيراد.

ومن المفيد الإشارة إلى بعض مصطلحات الأسلحة الواقية التي أوردتها المصادر، ومنها "الدروع"، و تعد ضمن اللباس العسكري المعتمد من قبل الجند المريني، وهي قطع من جلود أو صفائح من حديد كانت تغطي جسم المحارب من العنق إلى الركبتين اتقاء لضربات العدو، وتشكل أداة لحماية الفارس أيضا من ضربات السيوف والرماح. ويبدو أن الدروع المرينية كانت حديدية الصنع، وعن ذلك يخبرنا النميري حين أمر أبو عنان فرسانه أثناء حملته العسكرية، "أن لا يركب أحد في غد

إلا وهو مظاهر بين **دروعه**، شاك في **الحديد** الذي يحصن لابسه بأسه"[59]، وذكر من الدروع الداودية التي شكلت "عبرة لأولي الاعتبار ونزهة للنظار"[60]، علما أن الدروع اختلفت من حيث شكلها و حجمها ومواد صنعها، فإذا "كانت واسعة فهي زغفة، وإن كانت طويلة فهي ذائل، فإذا كانت منسوجة فهي جدلاء ومجدولة، وإذا كانت صدرا بغير ظهر، فهي جوشن"[61].

ومن مصطلحات الأسلحة الواقية، ذكرت المصادر، مصطلح التراس، جمع الترس، وقد كان بعضها من حديد، وبعضها الآخر من الجلود، فأما الجلدية "فهي درق(...)وتصنع من جلود البقر، كما تصنع من جلود الوحش، ومن جلود اللمط وهي أحسنها و أمنعها"[62]، ويعرف صاحب حلية الفرسان اللمط بأنه "حيوان يعمر الصحاري ويصنع من جلده الدرق"[63]، ومن علامات جودة الدرق اللمطية، أنها إذا "أصيبت بضربة سيف أو رمح، انغلقت الضربة والتحمت من وقتها واختفت فلا تظهر"[64].

وإذا كانت مواد صنع الدرق من الجلود في الغالب، فإن المصادر تكاد تتفق على جودة وصلابة الدرق اللمطية، وعنها يقول صاحب تحفة الألباب "وعندهم (أهل السودان) حيوان يقال له اللمط مثل الثور الكبير له قرنان كالرماح، تطول بطول بدنه ممدودة على ظهره، إن طعن بها حيوان أهلكه في الحال، يتخذ من جلده **تراس** يقال لها **الدرق اللمطية**، لا تنفذها النشاب، ولا تؤثر فيها السيوف، وهي من أحسن **التراس**"[65].

وعلاوة عن الدروع والتراس، يذكر النميري مصطلحات أخرى عن أسلحة وقائية من قبيل **"العمائم"**، فضلا عن **"البيضات"**[66] وهي الخوذة التي توضع على رأس المحارب والمصنوعة من حديد، وللتلطيف من صلابتها على رأس حاملها، فقد كانت تحشى بمواد رخوة لمنع تأثير الضرب القوي على رأس المحارب.

ومما سلف من مصطلحات، يبدو أن المرينيين، قد أبدعوا على مستوى الزي العسكري والأسلحة الواقية، واجتهدوا في توفيرها لأجنادهم، مع الحرص على طابع الاحتفالية والفخامة بغية ترهيب العدو من جهة، وإضفاء نوع من الهبة على الدولة ومواكبها العسكرية من جهة ثانية، وهو ما أكده النميري حين ذكر أن أبا عنان كان يحث على "جزيلة ارتياده نازعا إلى التي تظهر فخامة الملك"[67].

3-3-2- مصطلحات تخص مستلزمات الفارس (الفرس- السروج- الألجم- المهاميز- المضمات)

لعل من أهم مستلزمات الفارس، **الفرس** الذي شكل أداة فعالة من أدوات العتاد الحربي المريني، ولم يفت النميري وصف أنواع الخيول التي شاركت في الحملة العنانية، وصفا بليغا فذكر"منها **الأدهم** ومنها **الأشقر** الذي يشبه صهيله الرعد، ومنها **الأحمر** و **الأصفر** ومنه **الأشهب** الطويل الذيل، ومنها **كميت** ظهره قصير وعنقه طويل وحوافره صلبة وكشحه[68] ضامر(...)وصدره واسع وعرفه طويل"[69].

وإلى جانب الخيول، عمل المرينيون على توفير مستلزمات الفرسان، وفي هذا السياق، استعملت المصادر جملة من المصطلحات، لعل أبرزها **"السروج"** و **"الألجم"**، **و"الخفاف"** التي تعرف بمصطلح **"الأنمقة"** ويشدون **"المهاميز"**[70] فوقها. وقد حرص المرينيون على توفيرها مجانا لجندهم جريا على عادة الموحدين من قبلهم، فقد زود أبو عنان جنده المشارك في الحركة من "وجوه القبائل وزعماء الفصائل وأشراف العرب وأمراء هلال ابن عامر وطوائف من لفيف الأعراب(...) **بالكسوات، والسيوف** المحلاة باللجين والعقيان، إلى غير ذلك من **السروج المذهبة** ركبها أحسن التذهيب، **واللجم** العجيبة التي رتبت صنائعها أحسن الترتيب"[71].

وفيما أعدت للخيول غير بعيد عن المعسكر، الإصطبلات التي تبيت فيها، وهي "مخابئ تصطف فيها الخيل بنظام، بعضها بجوار بعض"[72]، أسندت مهمة العناية بها وبباقي وسائل النقل

العسكري من البغال والجمال، لشخص يدعى في اصطلاح المغاربة ب"**العلاف**"[73]، ويسهر على توفير "ما يلزم للدواب ولجميع المستخدمين المكلفين بشؤونها"[74]، وهو ما يبين الاهتمام الذي حظيت به جميع أصناف الجند المريني سواء كانوا راجلين أو فرسان، وذلك بتوفير كل مستلزمات العتاد الحربي من سلاح و خيول وعلوفة ومؤونة ولباس.

4-مصطلحات تخص الشارات العسكرية(الطبول و الرايات والمزامير)

لقد أورد ابن خلدون عدة مصطلحات تدل **على** الشارات العسكرية في سياق حديثه عن شارات الملك الأساسية، ومنها "اتخاذ الآلة من نشر **الألوية** وقرع **الطبول** والنفخ في **الأبواق** والقرون"[75]، لذلك فقد شكلت كل من الطبول والرايات والمزامير والأبواق، أهم الشارات العسكرية التي استعملت ضمن العتاد الحربي المريني، ويصف صاحب الحلل الموشية أحد **الطبول** بقوله: "كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا منشأ من خشب أخضر اللون مذهب(...) وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع لا ريح فيه"[76]. أما الحسن الوزان فقد أشار أن السلطان، كان له "**طبالون** كثيرون مزودون **بطبول** نحاس على شكل جفان عريضة من أعلى ضيقة في أسفل، مع جلد ممدود على أعلاها. ويحمل كل طبل حصان رحل، (...)ويسمع دويها من مسافة بعيدة، فترتجف الخيول والرجال منها، وتقرع بعصب الثور"[77].

كان دق الطبول لا يتم إلا في مناسبات محددة أثناء الحرب أو خروج السلطان في سفر أو مناسبة عيد، وكانت تقتصر على الموكب السلطاني دون غيره من وجهاء الدولة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ولما جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم زناتة، قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان، وحضروها على من سواه من عماله، وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع السلطان في مسيره يسمى الساقة"[78].

ومن جهته استعمل ابن الحاج النميري، مصطلح **"الطبول"** في صيغة الجمع، للدلالة **على** كثرتها، منبها أنها كانت "تقرع على طرائق تتهاداها الأسماع(...) وقد ملأت القلوب هيبة وروعا"[79]، وتناط مهمة ضربها بجماعة من الرجال عرفوا **بمصطلح "الطبالين"** كان لهم قائد خاص يعرف بمصطلح **"المزوار"**[80] .

وفيما صمت النميري عن عدد الطبول التي استعملت في الحركة العنانية لقسنطينة وبلاد الزاب، ذكر ابن خلدون[81]، أن عددها فاق المائة في عهد أبي الحسن ما بين الصغير والكبير، وكان ضربها "محفوظ لأهل بيت خاص بهم من أهل مراكش"[82]، مما يوحي بوجود تقنية خاصة بضربها قد تكون موروثة عن العصر الموحدي.

وإلى جانب مصطلح الطبول، أوردت المصادر مصطلحات أخرى، **توحي بتعدد شارات** الجيش المريني وتنوعها، ومنها **"المزامير" و"الأبواق"**، و هي الات اختص بها قواد الترك، فكان لهؤلاء "مزامير هائلة(...)عرفوا بها"[83]. وكان "النافخون في[هذه] الأبواق، يستعملون لعزف الألحان عند النزول وبسط موائد الملك، أو عند الهجوم في الحرب"[84]، ولم يكن لهم تمويل أو نفقة تذكر من طرف الملك، وإنما كان أهل المدن يتكلفون بذلك، فهم ملزمين "بتقديم عدد منهم كلهم على نفقتهم"[85].

ومن خلال سياق ورود المصطلحات السالفة الذكر، يبدو أن دور الطبول والأبواق والمزامير، كان له بالغ الأثر في نفسية عناصر الجند بتحفيزهم على القتال وإثارة الحماسة في نفوسهم قبل و أثناء الحرب من جهة، وإرهاب العدو من جهة ثانية[86]. وقد اهتم المرينيون بهذا الأمر اهتماما كبيرا حتى إنهم حملوا معهم الجواري على الهوادج ضمن المواكب العسكرية، ورافقوا الشعراء الذين

يتغنون بمجد الجند لتشجيعهم على القتال، "إذ يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة(...)ويسمون ذلك الغناء تاصوكايت"[87].

وإلى جانب الطبول، استعمل الجند المريني **الأعلام**، فكان العلم الأبيض شعار الدولة، ويسمى في المصادر المرينية "بالعلم المنصور"، فهو "أبيض مكتوب بالذهب نسيجا من الحرير أي من القرآن بدائر طرته وحوله"[88]، غير أن المصادر ، لم تفصح عن ماهية الآيات المكتوبة عليه، والراجح أنها آيات كانت تشير في مضمونها إلى التوحيد[89] .

وعلاوة على العلم الكبير الذي يتقدم الموكب، اعتمد الجيش المريني عددا مهما من الأعلام "ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير"[90]، ومتعددة الألوان ما بين الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر وغيرها من الألوان المتفرعة منمقة بأنواع التطريز والخطوط[91]. ويقف أصحابها خلف السلطان وحاشيته. وتتزايد أعداد الأعلام إذا علمنا أن لكل قبيلة كان لها علم خاص يميزها وتعرف به[92]. ناهيك عن أعلام "أهل الحرف من أرباب الصناعات الموفرة للبضاعات"[93] فلهؤلاء "أعلام فيها صور الآلات التي يستعملونها"[94].

وقد عينت فرقة خاصة ضمن الجيش المريني، عرفت **"بحملة الأعلام"**، يحملونها ملفوفة أثناء السير، إلا واحدا منهم يحمل علما منشورا مرفوعا في مقدمة الجيش. ويقوم جميع حملة الأعلام كرواد بالتأكد من خط السير ومشارع الأنهار ومسالك الغابات"[95].فكانت مهمة هؤلاء استطلاعية، تمهد طريق الجند وتأتي بالأخبار بشكل استباقي.

ويبدو أن الجيش المريني قد راكم التجربتين المرابطية والموحدية سواء باستعماله للأسلحة المتنوعة أو في اتخاذه للزي المتميز وبعض الشارات العسكرية. كما راكم تجربة رائدة في عصره لخوض غمار المعارك البرية أو البحرية، غير أن حروب أبي عنان في البحر اقتضت - ولا شك- تجديد قطع الأسطول الحربي خاصة بعد نكبة أبي الحسن بالقيروان[96]، فاجتهد أبو عنان في تطوير أسطوله الحربي. فماذا عن المصطلحات الدالة **على** مكونات الأسطول الحربي المريني وخصائصه؟

ثانيا: مصطلحات دالة على مكونات الأسطول الحربي المريني

إذا كان الأسطول الحربي من أهم مستلزمات و عتاد الجند المريني، فإن الوقوف **على المصطلحات الدالة على مكوناته، يعد من الأهمية بمكان، إذ لا يتيح ذلك إمكانية تحديد الدلالة، فحسب، ولكن يكشف عن بعض خصائص** مكونات قطع الأسطول الحربي المريني، وإن كانت مسألة تحديد الحمولة والتجهيز والفعالية و المسافة التي تجتازها كل قطعة، يعد من الصعوبة بمكان، لأسباب عديدة، لعل أبرزها شح الإشارات المصدرية من جهة، وصعوبة التمييز بين الأسطول الحربي والتجاري من جهة ثانية[97]، وتتأكد هذه الصعوبة عند التعرض لجملة من المصطلحات، الدالة على مكونات الأسطول الحربي، التي تزخر بها بعض المصادر الوسيطية، من دون تحديد لدلالتها، مما يستلزم من الباحث بذل جهد مضاعف بقصد حصر القرائن، و تحصيل الإشارات التاريخية من أجل صياغة بطاقة هوية لهذه المصطلحات.

ومعلوم أن لفظ الأسطول نفسه، ليس وليد الحقبة الوسيطية، وإنما هو لفظ يوناني قديم (Stolos)، ويعني طائفة من السفن. وعند العرب ظل لفظ الأسطول، يدل على السفن الحربية، بعد تعريب الكلمة عن اليونانية(Stolos)[98] حاملا دلالة السفن التي كانت تتحرك بالمجاديف، وبعضها بالمجاديف والأشرعة معا[99]. ويبدو أن ابن الحاج النميري لم يخرج عن القاعدة، إذ استعمل بدوره لفظ

الأسطول للدلالة على السفن المحاربة، فذكر أن أبا عنان "جعل ينظر إلى **أساطيله** المظفرة(...) وقد رفعت أعلامها المتهايجة(...) ولبس أهلها الدروع فكأنهم الأسود "[100].

1-مصطلحات مكونات الأسطول الحربي المريني (الاغربة- الطرائد-الشياظي- القوارب...)

وصف النميري مكونات الأسطول المريني في نص بالغ الأهمية، حين قال: "وأقبلت **أغربة** كأن أعلامها البيض حمائم، **وطرائد** كان الأبطال فوقها أسود ضراغم، **وشياطي** تستشيط على أعداء الله غضبا، **وسلالير** يتخذ سبلها في البحر عجبا، **وقوارب** تخلص لله بجهادها قربا، ولججوا بها فلكا يكاد يستنزل الأفلاك، **وسفائن** تحمل على أسرتها الأملاك، **وشوانئ** لعاجل الأعداء الشواني الهلاك، **ومراكب** يركبها المناوئ ردعه، **وحراقات** تحرق قلب المناصب وتتيح صرعه"[101].

ويبدو من خلال مصطلحات هذا النص، أن مكونات الأسطول الحربي العناني، كانت متنوعة فاقت تسعة أنواع، اختلفت من حيث شكلها ووظيفتها، فمنها **"الأغربة"** جمع غراب[102] وهي سفن سوداء اللون مقدمتها على شكل رأس الغراب[103]، وتستخدم لحمل الغزاة[104]. ومنها **"الطرائد"**، وهي سفن مفتوحة الخلف بأبواب تفتح وتغلق، وكانت معدة لحمل الخيول والغزاة، وأكثر ما كان يحمل فيها أربعون فرسا[105]، كما عرفت برايتها البيضاء و مثلت سفينة القائد الأعلى للأسطول الحربي المريني. ويذكر النميري أن أبا عنان، أمر أن "تصله **طريدة** قائد القواد(...) وسرعان ما جاءت **الطريدة العظيمة** ناشرة لأعلامها البيض"[106]. وفي سياق آخر، يذكر أن السلطان دعاه للركوب معه على متن**"الطريدة الكبيرة"**[107]، **مما يوحي بكبر وضخامة حجمها.**

أما **الشواني**، فهي سفن حربية كبيرة أيضا، كانت تسير بمائة وأربعين مجدافا، وتختص في حمل المقاتلة والجدافون، وقد كانت من أهم قطع الأسطول الحربي المريني وحددت حمولتها من عدد المقاتلة، في مائة وخمسين رجلا[108].

ومن مكونات قطع الأسطول الحربي المريني أيضا، تذكر المصادر **الحراريق**، وهي مراكب حربية كبيرة، كانت تحمل تجهيزات وعتاد الجيش خاصة مكاحل البارود والعرادات والمنجنيقات، وترمي النفط المشتعل لتحرق به العدو، ومن ثمة كان اسمها الدال على وظيفتها، و لعل ما أورده دوزي في معجمه، حين ذكر **"حراقة نفط"** أو **"حراقة بارود"**[109]، دليل على ما ذهبنا إليه.

وفيما كانت **القراقير**(جمع قرقورة) من السفن العظيمة التي اختصت في حمل الزاد ونقل متاع الجند[110] المريني، كانت **القوارب تختص في** خدمة الأسطول حتى سميت بعضها بقوارب الخدمة[111]. فضلا عن أنواع قطع أخرى من الأسطول الحربي، عرفت بمصطلح **الشيطي** وهو نوع من الغربان المعروف بسرعة تنقله[112]. **والشلندي**[113] المركب المسقف الذي يختص في حمل المقاتلة والسلاح ويعادل من حيث الأهمية الشيني والحراقة.

2-خصائص الأسطول الحربي من خلال المصطلحات

يتضح من خلال رصد سياق ورود مصطلحات الأسطول الحربي المريني، تعدد مكوناته، فقطعه كانت كثيرة ومتنوعة، كما تميزت بإتقان صنعتها وألوانها السوداء وأشكالها الهلالية، وقد وصفت بأنها "لا تعرف فساد الوضع ولا فساد الاعتبار(...)عقيدة ألوانها الليلية(...) أصيلة النجر(...)، ملاقية الأهوال(...)هلالية الشكل(...)، تروع بالقوس الحوت، وتحمل الأسد ليروع العدو الممقوت"[114].

وإذا كان النميري، قد صمت عن عدد قطع الأسطول العناني، فمن الراجح أنها كانت وافرة جدا، لا سيما إذا وضعنا في الحسبان عملية التحديث التي شهدها الأسطول الحربي بعد نكبة أسطول أبي الحسن في القيروان سنة 749ه/1348م[115]، واستعمال المصادر لمصطلح **"دار الصنعة"** التي اختصت في عملية صناعة قطع الأسطول، ولا تعوزنا القرائن الدالة عن وفرة هذه القطع وتعدد أشكالها وألوانها، فقد أشار النميري إلى ضم أبي عنان، لما وجده ببجاية من السفن "عشية الوصول(...)إليها [حيث قصد] **دار صنعتها**(...) فتفقد ما وجد (...) هنالك من **الأجفان** وأمر بدفعها لقهر أهل البغي والعدوان"[116].

وقد تميز الأسطول العناني بتجهيزه بكل أنواع الأسلحة والعتاد اللازم للقتال، من **الطبول والأبواق والأعلام والسيوف والرماح، والمجانيق والعرادات** القادفة **بالبارود،** فضلا عن أسلحة الطعن والرماية الخفيفة والأسلحة الواقية، ويصف النميري حمولة الأجفان العنانية بقوله "فما شوهد أبدع من تلك الأجفان السعيدة(...)قرعت طبولها(...) وعلت أصوات بوقاتها وأنفارها(...) وأتت من أنفاطها(...) مالئة بألهوبها بين الغرب والشرق"[117].

كانت قطع الأسطول، تبدو في أحسن حلة، مزينة **بالأعلام"** كالعروس(...)مشحونة بالأبطال(...)من كل رام شهم(...)ومن رامح(...) ومن سائف(...)، قد لبسوا الحديد على الحديد، ورفعوا عقائرهم بالتحميد والتمجيد"[118].

أما قيادة الأسطول، فكانت تسند لرجل محنك عارف بخبايا البحر، يعرف بمصطلح **"الملند"**[119]، ولا غرو فقد احتاط المغاربة منذ أمد بعيد من البحر وأهواله، فضمنوا ذلك ضمن أمثالهم المتواترة[120]. واشتهر من قواد الأسطول المريني في عهد أبي عنان، الفقيه الخطيب أبي العباس ابن الخطيب قائد أسطول طنجة، وأبي القاسم بن بنج قائد أسطول جبل الفتح[121]وابن الأحمر "قائد القواد

البحرية" [122]وغيرهم، حتى إن أصداء قوة الأسطول المريني ومهارة قائديه، بلغت المشرق والغرب الأندلسي[123] على حد سواء.

خاتمة

ومما سلف يمكن بسط الخلاصات التالية:

-إن مصطلحات العتاد الحربي المريني الواردة في المصادر العربية المنوه بها، جاءت وافرة ومتنوعة، مما يوحي بحجم قوة العتاد العسكري للدولة المرينية داخل الحوض المتوسطي، خاصة زمن السلطانين أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) وابنه أبي عنان (749-759 هـ/1348-1358م).

- إن تحديد دلالة المصطلحات الخاصة بالعتاد الحربي زمن بني مرين، يعد بحق إحدى مفاتيح فهم العديد من الجوانب المعتمة في التاريخ العسكري للمغرب الأقصى خلال هذه المرحلة.

-إن الدولة المرينية كانت على وعي بأهمية التحولات التقنية والعسكرية بالضفة الشمالية لحوض البحر المتوسط، لذلك سخرت كل جهودها لتوفير مختلف أنواع العتاد الحربي لأجنادها، من خلال إنشاء "دور الصنعة" أو "دور الإنشاء" المختصة في صناعة قطع الأسطول الحربي، وصنع الأسلحة الثقيلة.

-رغم استفادة الدولة المرينية من التجربتين المرابطية والموحدية في تجهيز جيوشها، وتقوية عتادها الحربي، فإنها أخفقت بعد ذلك، ولأسباب مختلفة، في تأسيس قاعدة صناعية حقيقية، تضمن لها مسايرة التطور التقني الأوربي، ومواكبة الركب الحضاري، ووقف المد المسيحي، الذي سرعان ما سينطلق بزعامة مملكتي قشتالة وأراغون لغزو السواحل المغربية ابتداء من مطلع القرن 9هـ/15م.

-إن العديد من القضايا التي تخص التاريخ العسكري المغربي خلال الفترة الوسيطية، لا تزال في حاجة إلى إعادة القراءة والتمحيص، ولعل ذلك لن يتم إلا بفقه المصطلحات فهما وتحليلا، ومنها مصطلحات العتاد الحربي.

المراجع

(1) باستثناء بعض الإشارات الواردة في دراستي العلامة محمد المنوني ودراسة محمد حناوي و فليب كونتامين (Philippe Contamine) ، لا نكاد نجد دراسة وافية عن مصطلحات العتاد الحربي بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط. راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، منشورات كلية الآداب، الرباط سلسلة بحوث ودراسات، رقم 20، 1996، ص. 97-107. محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م.ص.264 وما بعدها. محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2003م، ص.249 وما بعدها.

- Contamine(Ph), la guerre au moyen âge, Paris, P.U.F, 1980.

- Contamine (Ph), « Le combattant dans l'occident médiéval » dans : Le Combattant au Moyen âge, Paris-Sorbonne, 1995,pp.15-23.

(2) - صنف ابن خلدون الحروب إلى أربعة أنواع: " إثنان حروب بغي وفتنة كالحرب بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة، وإثنان حروب جهاد وعدل كحرب الدولة مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها"، أنظر :

- ابن خلدون، المقدمة، تصحيح وفهرسة ابو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1996م، المجلد 1،ص.287.

(3) - مجهول، البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق32(ضمن مجموع) ، ص.34.

(4) - ابن خلدون، المقدمة، المجلد1،ص.402.

(5) - نفسه، المجلد1، ص.272.

(6) - نفسه، المجلد1، ص.272.

(7) - ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1999 م، ص.297.

(8) - نفسه، ص.145.

(9) - البكري، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق الحجي علي عبد الرحمن، دار الإرشاد، بيروت، 1968ص.145.

(10) - نسبة إلى برديل، "وهي آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والشرق"، وقد عرفت الأندلس وخاصة إشبيلية بصناعة آلات الحرب "ويصنع بها ما يبهر العقول"، أنظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، 1406هـ/1986م، ج1، ص.191. الأندلس من نفح الطيب للمقري، تقديم نجاح العطار، أعده للنشر: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1990، ص.376.

(11) - وأنظـر نمـاذج من أنـواع السيـوف حسـب شكـل مقابضـها عند:

- Contamine(Ph), le combattant au moyen âge, Paris, Sorbonne,1995, pp.15-23.

(12) - ابن هذيل، حيلة الفرسان وشعار الشجعان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1997م، ص.78.

(13) - نفسه، ص. نفسها.

(14) - العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1409هـ/1988م، ط1،ص ص.110-111.

(15) - نفسه، ص ص.110-111.

(16) - مجهول، البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق32(ضمن مجموع) ، ص.181.

(17) - الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار، حققه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1969م،ص ص.51-52.

(18) - النميري، م س، ص.225.

(19) - ابن هذيل، م س، ص.88.

(20) - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في ماثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص ص.398-399. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،1421هـ/2000م، ج6، ص.440.

(21) - الأنصاري السبتي، م س، ص ص.51-52.

(22) - العمري، م س، ص ص.147-148.

(23) - ابن هذيل، م س، ص.77.

(24) - نفسه، ص.74.

(25) - النميري، م س، ص ص.265 -298-311-296-273.

(26) - نفسه، م س، ص.295.

(27) - نفسه، ص.296.

(28) - محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،1977،ص.264.

(29) - رسائل موحدية مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة محمد العزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 2،ط1422،1هـ/ 2001م، ج2، ص.236.

(30) - ابن خلدون، العبر، م س، ج7، ص. 248. الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مراجعة: محمد حجي وإبراهيم بوطالب و أحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال،2001 م، ج4، ص.40.

(31) - الناصري، م س، ج4، ص.40.

(32) - النميري، م س، ص.274.

(33) - نفسه، ص ص.274-275.

(34) - نفسه، ص.274.

(35) - نفسه، ص.296.

(36) - نفسه، ص.288.

(37) - نفسه، ص.296 .

- ويبدو أن استعمال السلالم في الحصار لتسلق الأسوار العالية، هي تقنية كانت سائدة خلال العصر الموحدي ، فقد أمر عبد المومن أثناء حصار مراكش المرابطية سنة 541هـ "بعمل السلالم للسور، قسمها على القبائل فأحدقوا بالمدينة فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين". أنظر: ابن سماك العاملي، الحلل الموشية في أخبار الدولة المراكشية، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء، 1979م، ص. 104 .

(38) - النميري، م س، ص.298.

(39) - نفسه، ص.299.

(40) - ويعرف هذا القائد باسم "عثمان بن علي بن أحمد الرياحي"، أنظر، نفسه، ص ص.415-419.

(41) - عن مقومات الجيش الموحدي، راجع: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين،ق2، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1411،2هـ/1990م، ص.639-640.

(42) - النميري، م س، ص.295.

(43) - ابن خلدون، العبر، م س، ج7، ص.248. الناصري، م س، ج4، ص. 39- 40.

(44) - الناصري، م س، ج4، ص.39.

(45) - النميري، م س، ص.288.

(46) - نفسه، ص.273.

(47) - نفسه، ص.260.

(48) - الناصري، م س، ج4، ص.39، الهامش رقم:42.

- والجدير بالذكر أن البارود عند العرب، كان يعرف باسم "النار الإغريقية"، وعن العرب أخذها الإفرنج لتستعمل لأول مرة بأوربا في معركة-crecy-en) (Pouthien، سنة747هـ/1346م.أنظر: أسعد داغر، حضارة العرب، تاريخهم-علومهم-آدابهم-أخلاقهم-عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيكى، مصر1332هـ/1918م، ص.241.

(49) - المهاميز، مفردها مهماز وهي الأداة التي تستحث بها المطايا على الإسراع في السير، ويستعملها الراكب على الفرس وغيره، وكان منها ما يصنع من الذهب أو الفضة أو من الحديد، و صناع وباعة المهاميز يعرفون بمصلح المهامزيين. أنظر: محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، 1413هـ/1993م، ص.570.

(50) - العمري، م س، ج4، ص.130.

(51) - ابن مرزوق، م س، ص.130.

(52) - نفسه، ص ص. 186-130-129.

(53) - الحسن الوزان، - الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد الأخضر ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج1،ص. 290.

(54) - نفسه، ج1، ص.290.

(55) - ملوطة: قلنسوة من نوع خاص فاخر، كما يتضح من سياق الورود. وأنظر أيضا: النميري، م س، ص.305-هامش المحقق.

(56) - نفسه، ص.305.

(57) - نفسه، ص.305.

(58) - نفسه.223 -225.

(59) - النميري، م س،ص.301.

(60) - نفسه،ص.224.

(61) - المراكشي، سيرة أجود الأنجاد في مراتب الجهاد، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 5917، ص ص.81-82.

- أيضا: محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط،2003، ص.271.

(62) - ابن هذيل(علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي-ت بعد 763هـ): حلية الفرسان وشعار الشجعان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1997، ص.87.

(63) - نفسه، ص.نفسها.

(64) - نفسه، ص.نفسها.

(65) - أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1413،1هـ/1993م، ص.41.

(66) - النميري، م س، ص.305.

(67) - نفسه، ص.352.

(68) - والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، و الكشحان جانبا البطن من ظاهر وباطن، أنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003/1423م، المجلد:7 ، ص.668، مادة: كشح.

(69) - النميري، م س، ص.304.

(70) - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الاميرية، القاهرة، 191م، ج5، ص.203.

(71) - النميري، م س، ص.249.

(72) - الوزان، م س، ج1،ص.291 .

(73) - نفسه، ج1،ص.291.

(74) - نفسه ، ج1، ص.287.

(75) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد1،ص.273.

(76) - ابن سماك العاملي، م س، ص.115.

(77) - الوزان، م س، ج1، ص.288.

(78) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد 1، ص.275.

(79) - النميري، م س، ص.227.

(80) - نفسه، ص ص.226-227.

(81) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد 1، ص.321.

(82) - العمري ابن فضل الله، م س، ج4، ص.130.

(83) - ابن الحاج النميري، م س، ص.223. الوزان، م س، ج1، ص.288 .

(84) - الوزان، م س، ج 1، ص.288.

(85) - نفسه، ج 1، ص.288.

(86) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد1، ص.273.

(87) - تاصوكايت نشيد حربي زناتي كان أفراد الجيش يرددونه في ساحة المعركة، إذ يتقدم الجيوش شخصا (شاعرا) يتولى المبادرة بالإنشاد مستعملا آلة موسيقية خاصة، ويدعى هذا الإنشاد "تاصوكايت". أنظر: المقدمة، المجلد:1، ص.274. رضوان مبارك، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للنشر والتأليف والترجمة، مطابع سلا 1413هـ/ 1992 م، ج6، ص.2066.

(88) - العمري، م س، ج4، ص.133.

(89) - يبدو ذلك جليا من خلال محتوى القبتان فكان في"القبة الأولى (...)مصحف عثمان ابن عفان(...)أما القبة الأخرى ففيها صحيح البخاري وصحيح مسلم، أحسن ما ألف في الحديث". أنظر: ابن الحاج النميري، م س، ص ص.225-226.

(90) - ابن خلدون، العبر، م س، ج7،ص.357.

(91) - ابن الحاج النميري، م س، ص.497.

(92) - ابن ابي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973م، ص.130.

(93) - ابن الحاج النميري، م س، ص.498.

(94) - نفسه، ص.498.

(95) - الوزان، م س، ج1، ص.287.

(96) - تذكر المصادر أن "أساطيل أبي الحسن[كانت] نحو الستمائة قطعة، فغرقت كلها، ونجا هو على لوح، وهلك من كان معه من أعلام المغرب(...) وكان غرق الأسطول على ساحل تدلس بين بجاية والجزائر" سنة749 هـ. أنظر: ابن خلدون، العبر، م س، ج7، ص.365. الناصري، م س، ج4، ص ص .160-161.

(97) - محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط،2003، ص.341.

(98) - عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1913، ص.3.

(99) - نفسه، ص. نفسها.

(100) - ابن الحاج النميري، م س، ص.276.

(101) - نفسه، ص.354.

(102) - إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، إفريقيا الشرق، البيضاء، 1996م، ص.185.

(103) - عبد الفتاح عبادة، م س، ص.7.

(104) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، منشورا كلية الآداب، الرباط، 1996م، ص.110.

(105) - ويمكن التمييز بين مصطلح الطريدة (جمع طرائد) الوارد عند النميري، والطرادة (جمع طرادات) ، والطرادة سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الجري، أنظر: عبد الفتاح عبادة، م س، ص.6.

(106) - ابن الحاج النميري، م س، ص.277.

(107) - نفسه، ص.277.

(108) - مصطفى أبو ضيف، تاريخ الغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985، ص.422.

(109) - دوزي(رينهارت)، معجم القواميس العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1401/1981، المجلد:3،ج،ص.137.

- ويبدو أن الحراقات هي من السفن الحربية التي استعملها العرب منذ فترات مبكرة من تاريخهم لأغراض متعددة منها نقل الخليفة المأمون العباسي(ت218هـ) لضيوفه عبر نهر دجلة "فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين ألفا".أنظر: ابن خلدون، المقدمة، م س، ج1،ص183. عبد الفتاح عبادة، م س، ص.5.

(110) - عبد الفتاح عبادة، م س، ص.6.

(111) - نفسه، ص.6.

(112) - أنظر: ابن الحاج النميري، م س، هامش المحقق رقم 362، ص.341.

(113) - عبد الفتاح عبادة ، م س، ص.36-37.

- أيضا: مصطفى أبو ضيف، م س، ص.422.
- أيضا: أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة(دون تاريخ)، ص.325.

- ويبدو أن هذا المصطلح قديم، فقد عرف في اللاتينية باسم chalandium: واسترجعه العرب عن طريق التعريب، فقالوا شلندي، وهي مراكب حربية لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الأهمية الشيني والحراقة، أنظر: عبد الفتاح عبادة، م س، ص.6.

(114) - نفسه، ص.271.

(115) - ابن خلدون، العبر، ج7، ص.365.

(116) - نفسه، ص.266.

(117) - نفسه، ص.273

(118) - ابن الحاج النميري، م س، ص ص. 272- 273.

(119) - أورد ابن خلدون قائلا: " الملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الفرنجة(...)وإنما اختصت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب، لأنهما جميعا على صفة البحر الرومي من جهة الجنوب"، أنظر: ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد1، ص.266.

(120) - فقالوا ضمن أشعارهم: ثلاثة ليس لها أمان *** البحر والسلطان والزمان. المقري، نفح الطيب، م س، ج1، ص.46.

(121) - ابن الحاج النميري، م س، ص ص .277-270-341- المنوني، ورقات، م س، ص.112.

(122) - نفسه، ص.270.

(123) - محمد المنوني، ورقات، م س، ص ص.108-109.